



ما إنْ تأكَّد حافظ الأسد من اكتمال انقلابه وتمكنه من الاستيلاء على الحكم، حتَّى قام بجلب كارلوس المجرم الفرنسي الشهير، بعد أن اختبره وكلفه بعملية تفجير مقرِّ مجلة "الوطن العربي" في باريس، وأسكنه في شقة فارهة في منطقة المزة بدمشق، ووفر له كل الاحتياجات ليصوغ له برنامجاً إجراميًّاً، عماده التنفيذِي الأساسي العائلة/ العصابة/ الطائفة!

ومنذ انتهى كارلوس من وضع برنامج العمل، لا يكاد يمر يوم على السوريين، دون أن يشهدوا جريمة لفرد من عائلة/ عصابة الأسد، سرعان ما يبزغ نجمه سريعاً في عالم الجريمة.

امتاز حكم عصابة/ عائلة الأسد لسوريا بصفات خاصة تفرّقها عن عائلات العصابات، التي مرت في تاريخ الإجرام، ونتيجة طول فترة استباحثتها لسوريا (أكثر من خمسة عقود) يصبح من الصعب حصر الصفات التي تمتاز بها دون غيرها، أو تشتَرك معها، لهذا فإن وقوفنا هذه لا تكتمل إلا بالتعليقات، التي يكتبهَا السوريون مستذكرين فيها بعض ما عانوه من إجرام هذه العائلة/ العصابة.

قبل عدة أسابيع نشرت موقع إلكترونية جزءاً من وثيقة تتضمن أسماء بعض أفراد العائلة مع إشارة موثقة إلى جرائمهم <https://www.zamanalws.net/news/67591.html>، وأول ما يلفت النظر في هذه الوثيقة، شمولية حالة الإجرام في هذه العائلة/ العصابة، فالجد يورث الإجرام لابنه والأبن يورثه للحفيد، إضافة إلى أنها عامة يتشاركها ذكور العائلة وإناثها!

ما نعرفه أن عائلات المافيات الشهيرة مرجعيات تفصل ما بينها عندما تختلف، ولها قيم تنظم علاقاتها البينية، على العكس تماماً من عائلة/ عصابة الأسد المنفلترة من عقالها، والتي لا تحكمها قيم، وليس لها مرجعيات، فأي قيمة تلك التي يحترمها فواز الأسد عندما يعتدي على طالبات الجامعة في الشارع، أو يخرجهن من بيوتهم ويجبرهن على أفعال رذيلة تحت تهديد السلاح، وتحت بصر الجهات الأمنية وحمايتها؛ أو عندما يخرج صبيًّا من العائلة/ العصابة من سيارته، ويقتل بدم بارد لواءً في الجيش لمجرد أنه "دوبل" عليه، ثم يتبع سيره؛ أو حين يأتي ماهر الأسد شقيق رأس العائلة/ العصابة بممثل مشهور دنيء النفس ويعريه "ربِّي كما خلقتني"، ليتأكد من صدق ادعائه أن عضوه الذكري بحجم كبير، كي يُضْحِكَ جلساًه ومرافقه على هذا الممثل/ الكراکوز؟!

كذلك تشير الكتب التي تؤرخ لعائلات الإجرام عبر التاريخ إلى احترام كل منها لاختصاص العائلات الأخرى، فالعائلة التي

تتاجر بالبشر لا يمكن لها أن تتاجر بالخمور، ومثلها من تتاجر بالحشيش والكوكايين لا يمكنها المتاجرة بالدعارة والسلب، لكن الأمر مختلف لدى عائلة/عصابة الأسد، فكل مجموعة منها يمكنها تنوع بضاعة دكاكينها لتشمل كل أنواع الاجرام والاحتياط، وتبيّن قراءة أولية للوثيقة المتداولة تنوع الإجرام الذي تمارسه هذه العائلة ليشمل التهجم وإطلاق النار، ومحاولة الخطف، والسب والشتم واعتراض طريق، والتخلّف عن السوق إلى الخدمة العسكرية، وتشكيل عصابة أشرار، ودخول قاعات امتحانات البنات دون إذن مسبق، وتهريب وحيازة أسلحة مهربة ومسروقة، وإطلاق أعييرة نارية، وتهديد وإيذاء، وجرائم تجارة مخدرات، ومشاجرات سلب، واغتصاب تحت التهديد بالسلاح، والتزوير والشروع القاتل وانتهال صفة.. إلخ.

وفي هذا الصدد يتذكر السوريون الفشل الذريع، الذي واجهه دعوة بعض الحقوقين ونشطاء المجتمع المدني إلى مقاطعة رامي مخلوف (بن حال رأس العائلة/العصابة)، إذ اكتشفوا أنه لإنجاح مقاطعته، عليهم أن يمتنعوا عن شراء السكر والشاي والطحين والملح والمكيفات والخليوي والأسانسيرات والألبان والأجبان والزيوت والسيارات ومواد البناء والأفلام الإباحية وحفاظات الأطفال و.. وأنها كلها محكمة له أو لبعض من أزلامه!

وما نقرأ عن عائلات الإجرام يشير إلى بعض الترفع في سلوكها، وعدم نزولها إلى مستوى متدنٍ من الإجرام، بينما نجد أن عائلة/عصابة الأسد، تمتلك كل الأفعال وبكل المستويات، فالعنصر فيها يمكن أن يستولي على إنتاج موانيٍ ومطارات سورية، والمقدار بمليارات الليرات، لكن "عينه الضيق وفجعنته" تجعله لا يترك مئات ليرات، يمكن له جنيها من إزالة مخالفه مرورية لزبون ما، أو الحصول على ثمن موافقة استثنائية لشراء طن من الإسمنت يحتاجه الزبون لترميم منزله. بل وتضيق عينه حين يرى محل فلافل ناجح، فتراه إما أن يجبر صاحب المحل على إشراكه دون دفع شيء، أو يفتح بجانبه محلًا مماثلاً لينفسه ويجبر زبائنه على الشراء من فلافله!

لا أذكر أحدًا - على الأقل بحدود اطلاعـي - ذكر أن عائلة من عائلات الإجرام تاجرت بالدين، إلا عائلة/عصابة الأسد، التي تاجرت به وباعت مقامات دينية، وأبرزها عملية بيع مقامات السيدة زينب والسيدة رقية وعمار بن ياسر للإيرانيين، ويعتبر جميل الأسد (عم رأس النظام/العصابة) رائدًا في هذا المجال المثير بسرعة صاروخية، بدءًا من تأسيسه لجمعية المرتضى، التي يعرفها السوريون جيدًا، وعبرها قام بـ"جرقدم" الإيرانيين إلى سوريا، وبيعهم حقوق استثمار هذه المقامات وصكوك ملكيتها!

إذا حدث أن تشابهت بعض أنواع الإجرام التي تمارسها عائلة/عصابة الأسد مع غيرها، فإنهم يختلفون بقدرتهم الفائقة على تطوير هذا الإجرام. فإذا كانت بعض العصابات العائلية العالمية - مثلاً - تتجاهر بالآثار الوطنية خلسة، فإن عائلة/عصابة الأسد تاجرت بها علانية، ووظفت مؤسسات الدولة والأمن لحماية تجارتها، وقد كان رفعت الأسد ومن بعده باسل الأسد من رواد وأساطير هذه التجارة الإجرامية، وكلنا يتذكر كيف أن معرضًا أثريًا متجولاً في عدة عواصم ومدن عالمية (طوكيو، نيويورك، فيينا، باريس)، ضم أهم قطع الآثار السورية، تم شحنها بطائرات الدولة ورعايتها وزارة الثقافة، وعاد بعد الجولة نسخًا مزورة، بعد أن بيعت القطع الأصلية لحساب العائلة/العصابة، دون أن يجرؤ أحد على الحديث عن هذه الفضيحة ولو همسًا!

لكن، والحق يقال، لأنهم يرون البلد مزرعة أورثها لهم حافظ الأسد، فإنهم يتركون بعض الفتات لمعاونيهـم من خارج العائلة/العصابة/الطائفة، والفتات هنا مليارات الليرات والدولارات.. إنه فتات عشرات السنين من الحكم بكامل مقدرات وثروات سوريا العظيمة.. ومن رموز هذا "الفتات" - على سبيل المثال لا الحصر - نائب الرئيس الأسبق عبد الحليم خدام وعجيـانـه، وزـير الدفاع الأسبق مصطفـي طلاس وصـهرـه وعـجيـانـه، وـرئيسـ الوزـراء الأـسبقـ محمودـ الزـعـبيـ وـعـجيـانـهـ، وـمحمدـ حـمـشوـ وـنبـيلـ طـعـمةـ وبـهـاءـ حـسـنـ وـصـائـبـ نـحـاسـ وـعـشـراتـ آخـرـينـ يـعـرـفـهـمـ السـورـيـونـ جـيدـاـ!

اللافت - أيضاً - في إجرام عائلة/عصابة الأسد، أن كل ما تمارسه كان يجري بتناغم قلّ مثيله، وقليلة جدًا وتکاد لا تذكر الخلافات بينهم على مناطق النفوذ، أو على نوع تجارة معينة، وهذا لأنهم متتفقون، ويعلمون جيداً أنهم مثل "لعبة البزلPuzzle Games" إذا انسحبوا منها قطعة واحدة، فإنها تنفرط وتنهار بسرعة! أخيراً.. لا تخلي كتب تاريخ العصابات التي تقويها عائلات شهيرة - عادة - من إشارة إلى وجود فرد فيها يرفض إجرامها، ويتخذ طريقةً مخالفةً، ويعمل على الهرب منها، إلا عائلة/عصابة الأسد - التي استولت على سوريا نحو خمسة عقود، وحكمتها بالحديد والنار، والتروع والتجويع، وكل وسائل الفساد والاستبداد - إذ لا يمكن للسوريين أن يتذكروا فرداً واحداً من هذه العائلة/العصابة اختط لنفسه طريقةً مخالفةً لما درجوا عليه!

[هافينغتون بوست](#)

المصادر: